# رسالة من اللاجئة

ل : ياسمين بني مرجة

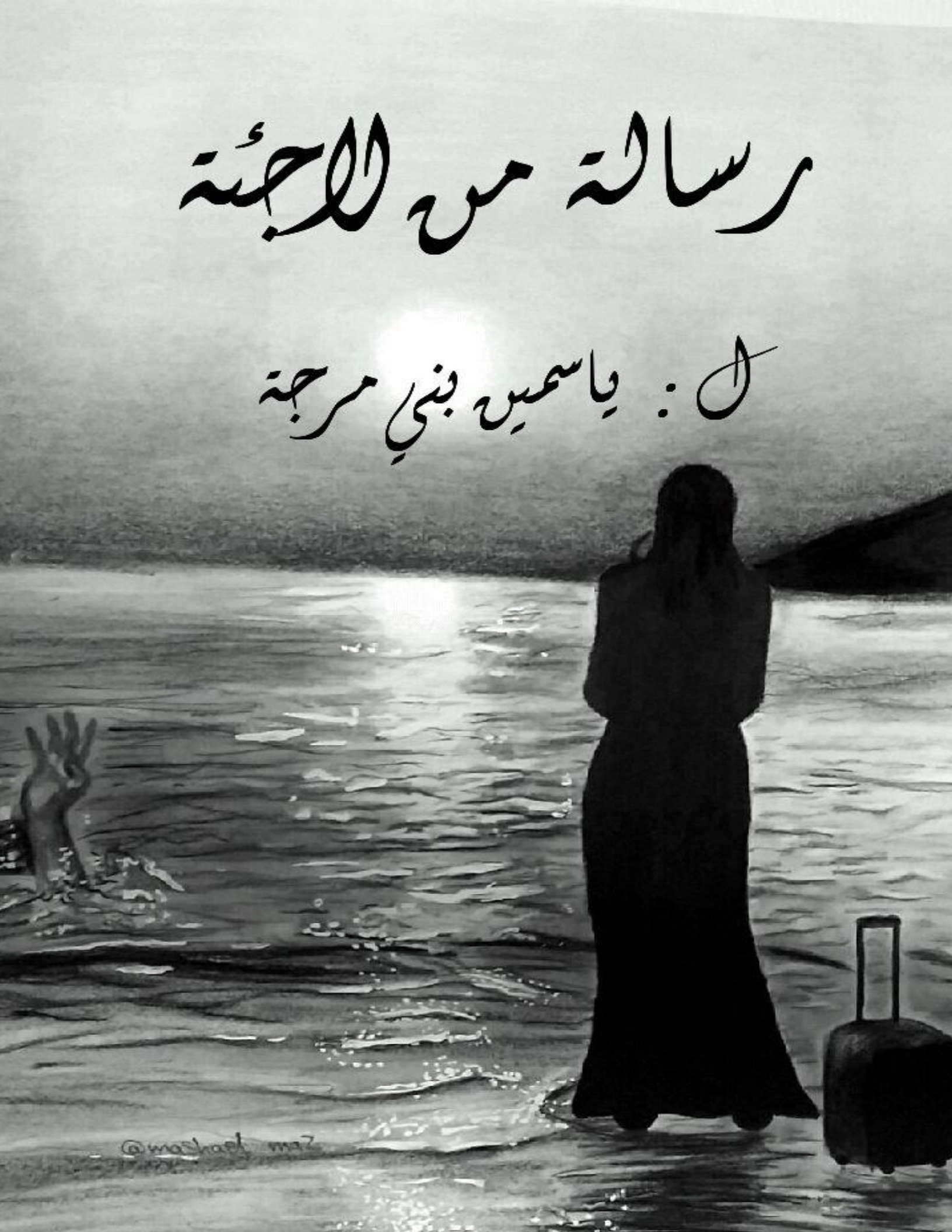

ـــــــرسالة من لاجئة ـــــــ

الإهداء :

إلى والداي الذين اقتلعا العوائق من دربي ليمَهِّدا لي سُبُلَ العيشِ بسعادةٍ ؛

- أبي الذي باع راحته ليشتري سعادتي

" حسام بني مرجة "

- أمي التي ضحَّت بالكثير لتالني

" رانيا الكردي "

أنتما الجنة... أحبكم..

أُهدي :

سلاماً إلى طيف كلّ حرٍ ترّك الدنيا وملذاتها ساعياً نحو جنان الخلد

تحيةً إلى روح كلّ بطلٍ فارق أغلى ما لديه لنصرة

الحق ، ارتقى بكرامةٍ رافضاً الذُلّ تاركاً من بعده

أجيالاً يسيرون على نهجه وخطاه

دعاءً إلى كلّ مُعتقلٍ يستغيث من دُبُر القضبان الحديدية انتشلوه من نعيمه ، ليلقوه في

الزنزانة ؛ لأنه ذمّ حاكماً و أبدى حقيقةً

محبةً إلى كلّ امرأةٍ لم تيأس بعد أن ضمّ الثرى عونها وأغلى ما لديها ، لم تستسلم

وأكملت مسيرها لتربّي أطفالها على الشجاعة

وأخيراً مودةً إلى كلّ مُغتربٍ يسمو براية الأخلاق

التي شبّ عليها ؛ إلى المُغترب الذي أبى إلا أن يكون

خيّراً و مؤثراً

# المُقدمة :

الكثيرون قد يسألونني ما سبب كتابتي لتلك القصص المأساوية ،

شعرتُ أنَّ بإمكاني أنْ أكتب قصصاً قد تودي بي إلى بارقة أملٍ حينما أنظر إلى معاناة غيري ؛

أن أشكر واقعي الذي منحني ما لم يمنحه لغيري

قصصي هذه سرقتها من عيونٍ دامعةٍ تدعو في غسق الدجى على من ظلمها ، تطلب من خالقها أن يرحمها

ويغفر لها عوضاً عمَّا ذاقته في محياها ،

اقتبستها من قلوبٍ تأبى الشفقة ممَّن حولها ؛

قلوبٍ ارتدَتْ معاطف الحزن ؛ تأبى أن تخلعها حتى لا يرى أحد مرارة الظلمِ التي عاشتها

قلوبٍ ما تعلقت إلا بالله

اتَّبعت قوله سبحانه في الحديث القدسي : (( أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ))

كان ظنُّها بك يا ربي جميلٌ

فنسألك أن تجلي الأحزان عن قلوبها

بدايةً . .الكثيرون قد ينتقدونني على كلمة ( لاجئ / لاجئة ) أكان من المفترض أن أستبدلها بسائحةٍ أو زائرةٍ

؟ ! ؛ كلا ، في الواقع نحن لسنا سوى لاجئين سواء كنا نمتطي خيمةً على حدودٍ خطرةٍ

أو كنَّا نقطن في بيت ذي إطلالةٍ بحريةٍ رائعةٍ

أكان الجوع يقطع أمعاءنا أو كنَّا نقتاتُ ما لذَّ وطاب من النعم

سواء كانت الثلوج تحيط بنا . . . ترتعش أطرافنا برداً أو كنَّا نرقد حول موقدٍ حطبيٍّ يتوهَّجُ الدفءُ

منه . .

نحن لسنا إلا لاجئين . . . بإمكان أيِّ شخصٍ وفي أيِّ وقتٍ يحلو له أن يعاتبك قائلاً : ( لماذا استوطنت أرضي

، متى ستعود إلى بلدك ؟ ) هل بإمكانكم استرجاع فتات الكرامة التي سلبها بسؤاله بجوابٍ مناسبٍ ! كلا

ما يحقُّ لنا قوله فقط حين تنتهي حربنا سنعود تاركين لكم موطنكم لتنعموا فيه . .

..

لا شيءَ أشدُّ ألماً من أن تكون ضيفاً غير مرحَّبٍ بحضوره ، الجميع يطاردك يكرهك يتمنى رحيلك وأنت تعلم

ذلك لكن ليست بيدك حيلة

في حوزتك طريقان فقط إما الرجوع إلى الموت أو المكوث والصبر على العوائق التي ستواجهك ؛ لا شك

أنك ستختار طريق الحياة . .

# حكاية لجوء

هل تصوَّرت نفسك يوماً تقطن في خيمةٍ صغيرةٍ تتخللها الأعمدة ، تفترش الحصى ، الجدران من قماشٍ رديءٍ ، لا ماءَ لا قوتَ ولا ثيابَ هناك فقط يوجد " ذل " كما الحال في المخيمات الحدودية ابتدعوها لينقذونا من الجحيم كما يدعون لكن مع الأسف هي الجحيم بعينه . .

يعتصرك الألم حين ترى أطيافاً من الناس تهوي إليها قسراً لينقذوا أرواحهم وأطفالهم من الموت ؛ لكن وبالغ الأسى هناك يلقون مصرعهم برداً وجوعاً أو كما أكثرهم يموتون قهراً..

هناك في الشتاء شلالات الموت تتدفّق أكثر ؛ معاناتنا تكبر أكثر الشتاء هنا أمسى رمزاً للهلاك لم تَعُدِ الأمطار والثلوج تبهجنا ، في ذروة العاصفة ترى الأم تدلك جسد رضيعها ، يدعون أطفالهم للجري واللعب تحت الثلوج خوفاً من تجمُّد الدم في عروقهم ؛

لطالما أبكاني حالهم ؛ أكثر ما آلمني رؤية الأم وهي تنعي صغيرها ترفعه بيديها للسماء جثةً متخشبةً زرقاءَ ، تصرخ ؛ تناشد العرب لإنقاذهم وكما اعتدنا لا أحد يلتفت كالصُّم والبُّكم تعمى عيونهم عن المآسي يتكلمون ويسارعون في إعطاء الوعود فقط أمام الإعلام ولكنهم في الحقيقة لا يفعلون شيئاً حيال أولئك المساكين ، تتنهد الأم تارةً وتصرخ تارةً أخرى ؛ تلطم نفسها ثم تندب حظَّها ؛

حين يبتلع البكاء صوتها تلتفت لتناجي بارئها بصوتٍ قويٍّ ممزوجٍ بالأسى تصرخ ﴿ إلهي خذِ الظالمين أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ أنت حسبي ونعم الوكيل ليس لي سواك إنك على كلِّ شيءٍ قدير ؛ ساعدني يا الله ارحمني احمي ذرِّيتي ليست بيدي حيلة أفوض أمري إليك وحدك ﴾

..

ما أصعب أن تكون شاهداً على وداع روحٍ ارتقت إلى مثواها . . . تُرى كيف يقبلون الجثة يحادثونها يستسمحونها يطلبون منها البقاء ؛ لكنها لم ولن تعود رحلت إلى الأبد لم يبقَ سوى ذكرها بالخير إن أحسنت و ذمُّها إن أخطأت

. .

هكذا الشتاء هناك مليءٌ بالأحزان والذكريات والموت

ألم الشتاء لربما تطهِّره الفصول الأخرى باعتباره يأتي كلَّ عامٍ مرةً ؛ لكن هناك تفاصيل يومية كثيرة أخرى تحيط بنا ؛ تُحدث في داخلنا جرحاً عميقاً لن تسمح لنا الحياة يوماً بنسيانها

الأعمق ألماً من البرد هو الجوع وكيفية حصولنا على الطعام هناك . .

حسناً سأوضح لكم قليلاً

بدايةً يجب أن يلتقطوا لك صوراً وأنت في هيئةٍ رثَّةٍ كي تثير الشفقة في قلب كلِّ من يراك ، حينها لن يطاوعه فؤاده بالمرور دون مساعدتك والتبرع لإطعامك

أكثر المؤتمنين هناك لصوصٌ ينهبون الصَّدقات التي يقدّمها ذوو الإنسانية يشترون طعاماً بمبلغٍ ضئيلٍ جداً يطهونه بشكلٍ عشوائيٍّ ثم يقدمونه وعليك أن تنتظر ساعات في الطابور من أجل الحصول على ذلك الطبق الملكي الذي على الأغلب لن يسدَّ جوعك المتراكم منذ أيام ، باقي التبرعات يحتفظون بها لأنفسهم متجاهلين باقي الكوارث التي هي بأمس الحاجة لحلولٍ من أوبئةٍ وأمراضٍ ومجاعاتٍ لإنقاذ حياة أولئك المساكين

..

الآن لمن يقرأ . . . قل لي ما هو شعورك حينما تصادف صوراً لأبنائك على التلفاز يتكلمون عن جوعهم ، عن بردهم ، عن عجزهم ماذا ذقت أنت من العذاب أمام صبرهم على آلام القدر

أجبني يا إعلامي ! كيف طاوعك قلبك أن تشهر وتصوِّر المحتاج بدلاً من أن تقدِّم له المساعدة ! !

قولوا لي يا عرب يا من تفتخرون بكرمكم . . . هه ! ! كيف استطعتم نهب ما يقدِّمه الغرب لمن يموتون من بردهم كيف ؟ ! كيف استطعتم طرد من لا مأوى له من بلادكم ؛ يعجز لساني عن وصف قسوتكم يا من ظلمتم ونهبتم وتكبرتم ؛

**{ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ }**

إخوتي في المخيمات المشؤومة . . أعلم تماماً بأنّ كلماتي لن تصل إلى أحدٍ منكم سامحوني إن لم أستطع تقديم المساعدة ، اعذروا تقصيري سأبقى دائماً أشعر بألمكم سأدافع عنكم بلساني فليبلغكم من يرى كلماتي بأنني لن أنساكم من دعائي

تنتابهم فرحةً عظيمةً حين يعلموا بأننا نذكرهم في سجودنا بأننا معهم دائماً فلا تبخلوا عليهم بدعائكم ها أنا قد نقلت لكم جزءاً صغيراً مما يمرُّ به اللاجئ جميعنا نتألم فارقدوا بهدوءٍ وادعوا لمن هم أقل منكم حظاً

## حلموا بالحياة ؛ فأغرقتهم أحلامهم

لأنَّ في بلادي ثمن الروح رصاصة ؛ ولأنَّ جميع ( أوطاني العربية ) أغلقت أبوابها بعنفٍ في وجهي ولأنَّ أطفالي أصبحوا يميِّزون القصف بالبراميل أو الهاون أو المدفعية حزمت حقيبتي للجوء بحراً إلى أوروبا كما يفعل معظمنا نحن السوريون ؛ وكما علمنا أنَّ المسكن والمأكل والتعليم وكلَّ شيءٍ مجانيٌّ هناك والأهم من ذلك أنك ستعيش بكرامةٍ لك حقوقٌ ليس بمقدور أحدٍ الاعتداء عليها وستصبح مواطناً أوروبياً بعد أعوامٍ قليلة

لا تعتقدوا أننا سُعداء بهجرتنا لكننا مجبرون ؛ حين ترى الموت بعينيك ، حين يحتمي طفلك بالطاولة خوفاً من أنْ يلقى مصرعه ؛ وعندما لا تستطيع التجول بحريةٍ في بلدك حينها ستفضِّل الهجرة عن البقاء ؛ ستفعل كلَّ ما بوسعك لإنقاذ عائلتك حتى لو كان ثمنُ ذلك التضحية بروحك ، فلا تفعلوا ما يؤذينا سواء كان قولاً أو فعلاً

..

أحد المهاجرات روت لي تفاصيل قصَّتها ؛ كانت مؤلمة حدَّ الموت ، كان كلُّ ما يجول في خاطرها الموت والموت فقط ؛ " انتزع الموت أحبابي أمام عيني زوجي وأخي ابنة أختي رأيتهم يغرقون يستنجدون بمن حولهم لكنني لم أستطع الاقتراب منهم " . .

ابتدأت رحلة المعاناة أو رحلة الموت كما أُطلق عليها مع عائلتي ؛ تعاقدنا مع المهرِّب في وقتٍ ومكانٍ محددين وذهبنا بالفعل ؛ كانت حوالي الساعة التاسعة مساءً ؛ حضر المهربون إلى مكان التجمع نقلونا بسياراتٍ إلى الشاطئ ؛ كان يجب علينا العبور بالماء للوصول إلى القارب المطاطي ؛ مشينا حوالي العشر دقائق في التراب ومن ثم في الماء حتى ابتلت ملابسنا ووصل الماء لمحاذاة بطوننا ثم صعدنا إلى السفينة التي ستنقلنا ؛ الهدوء عمَّ المكان

صعد زوجي إلى الطابق العلوي من السفينة كي يأخذ سيجارته ؛ ابنتي نائمةٌ في حضني : زوجي بقي في الأعلى حتى أشرقت شمسُ اليوم الثاني ثم خرج قبطان السفينة يبشِّرنا بأننا خلال أربع ساعاتٍ سنصل إلى وجهتنا ولن يحصل لنا أيُّ مكروهٍ بإذن الله

انجلى الخوف من قلوبنا لبُشْراه ؛ سرنا قليلاً فتوقفت السفينة ، قالوا لنا بأنَّ محرِّكَ السفينة توقف لأنَّ الماء قد نفذ ، أعطيناهم الماء التي كنا نشربها نحن وأطفالنا

مشينا مجدداً ؛ فتوقفت السفينة مرةً أخرى وبدأ الماء بالدخول تدريجياً إلى سفينتنا

الشمس متمركزةٌ فوقنا ؛ عطشى ومتعبون وخائفون نحن . . الفوضى ملأت المكان

انتظرنا قليلاً وجاءت البارجة لتنقذنا كما كنَّا نعتقد ، قلنا لهم بأننا نغرق أنقذونا رفضوا أن نصعد إليهم ، وكلُّ ما فعلوه أنهم ربطوا سفينتنا بهم بحبلٍ وقالوا أنهم سيتواصلون مع السفن الإيطالية لتأتي وتأخذنا

بقينا في قارب الخوف نتأرجح يمنةً وشمالاً

أحضروا لنا خبزاً وماءً وأرسلوهم إلينا لحين إنقاذنا ، أكلنا أنا وابنتي زوجي كان يعطينا ما يأخذه لنأكله أيضاً

أومئُ برأسي إيجاباً و أدعوه للنزول لجانبنا ، لكنَّ صراخ الاطفال والخوف يمنعانه من ذلك

طلبوا من الجميع الهدوء والثبوت في مكانهم

أصبحت الثامنة مساءً وما زلنا بانتظار من سينقذنا

وأخيراً حضرت السفن الإيطالية . . . الجميع يشكر الله ؛ الأطفال يبكون ؛ السفن لم تقتربْ منّا اكتفت

فقط بتصويرنا من بعيد ؛ مضت ساعةٌ . . . . اشتدَّ الهواء ، والموج يرتفع أكثر ، اقترب الموت منّا أكثر ،

التوتر والموت يداهمان الجميع ؛ نرى سفن الإنقاذ لكنها لم تنقذنا

تجرأتُ قليلاً وقلت لأختي أنني سأقفز إلى الماء وأصرخ حتماً سيأتون لإنقاذي . . وافقني الجميع ؛ فكَرت لوهلةٍ

؛ لكن ماذا لو غرقت السفينة وبقيت ابنتي داخلها من سيحميها ؟ ! ؛ تراجعتُ عن قراري مخاطبةً ابنتي :

" لا تقلقي حبيبتي إن غرقنا ، فقط ابقي ممسكةً بي سنسبح سوياً ونخرج "

أوشكت السفينة على الغرق ؛ الجميع يرتدون ستر النجاة إلا ابنتي ، قال لي المهرب بأنه سيعطينا حالما نصعد

إلى المركب لكنه لم يفِ بوعده

قبل أن تغرق السفينة بدقيقة حضَّرت نفسي ، حضنتُ ابنتي فهي الوحيدة التي لا تملك شيئاً يحميها ، صاح لي

زوجي من الطابق العلوي نظرت إليه فرأيته مبتسماً ، أشار لي بيده مودّعاً قال لي : باي

عجباً ما به ؟ ! لحظاتٌ فقط لأحوّلِ ناظري انقلبت السفينة ؛ و ابتدأت أصوات ارتطام الناس بالماء تتعالى

وهي تتساقط من الأعلى ، عذابٌ لا يوصف . .

ابتعدت قليلاً عنهم استنشقت نفساً وصرْتُ أصعد وأنزل للأعماق كي لا يغرقني أحد . .

الصراخ يعلو أكثر ، التفتُّ لأرى ماذا حصل ؛ أربع سفنٍ تحيط بنا جميعها لم تقترب منذ ساعة ونصف

رأيت أخي يطفو على سطح الماء ؛ صرخَتْ ابنتي شام " مات خالي " تتساقط العَبَرات بصمت . .

..

ما أصعب الندم ! لم أحلم سوى بحياةٍ سعيدةٍ بعيداً عن آثار الحرب ، كنت أغطي روحي بورقة السعادة التي

ابتدعتها وحين سقطت في الماء تبللت ورقتي وذابت وذاب قلبي معها ؛ جرَّدتني من كلِّ أثرٍ للحياة . .

هكذا تفعل الحياة بنا ، تجمل لنا الأشياء لنفعلها وتلقينا إليها ثم تذهب لتترك الندم ينهش قلوبنا من بعدها . .

سبحت قليلاً ثم اتجهْتُ إلى السفينة الأولى التي ربطتنا في البداية ؛ أدلَت بشبكٍ كي نصعد للأعلى . .

ما إن رأوه الناس حتى أتوا جميعهم ؛ تمسَّك بي أحدهم أبعدته عني ، رجع مرةً أخرى ركلته كي أنجو

الثاني والثالث أيضاً

امرأةٌ أيضاً استنجدت بي كي أنقذها قالت لي " الله يوفقك ساعديني " أجبتها " والله ما فيني أنقذ غير بنتي "

مسكت بيدها بهدوءٍ وأبعدتها عنِّي

أخذتني الأمواج بعيداً عن الجميع ، في ظلمة الليل الساعة العاشرة مساءً

تصرخ ابنتي أرجوكم أنقذونا ، أجيبها ليس لنا منقذ إلا الله ، تقول سنموت ؟ ! أجيبها استنجدي بالله فقط

بقيْتُ أسبح حتى تعبْتُ ، ابنتي مازالت ممسكةً بي ؛ أستريح قليلاً ثم أكمل ، فقدت الأمل أخيراً فلا شيء

يحيط بي وحيدة أنا في جوف البحر رغم إيماني وثقتي الكبيرة بخالقي إلا أنني يئست أخيراً وقلتُ في قرارة

نفسي لن يأتي حوت يونس لينقذنا . . . .

توقفتُ عن السباحة لاحظَتْ شام مدى تعبي

قالت : أُمِّي حين سنموت أخبريني كي نغرق سوياً لا أريد العيش بمفردي

أجبتها حسناً سنموت الآن

ثم صرختُ بأعلى صوتي

يا رب لِمَ تعذبني هكذا ؛ كيف ستأخذ ابنتي قبلي فإنني لا أستطيع العيش من دونها وكيف ستميتني قبلها فهي

لا تقوى على فراقي

ابتلعْتُ الماء وأصبحت شام تبتلع الماء أيضاً ؛ نطقنا الشهادة وأرخينا أجسادنا منتظرين ملك الموت . .

أيقنْتُ تماماً الآن بأنَّ الدنيا زائلة ، في دوامة الموت ستدرك قيمة الحياة ، لا أحد يعلم اللحظات التي ماتت فيها روحك ؛ ماتت روحي الآن ولم تعد تغريني الحياة ، فالحياة في نظري الآن هي بحر ، ظلمة ، برد وحيتان تريد افتراسنا . . حتى لو استطاع أحد إنقاذي ، ما البحر إلا نمط حياة بسيط يعكس الحياة خارجه ، فالحيتان تريد أكلنا داخله ، وفي خارجه الذئاب البشرية هي من تفترسنا وتنهش عظامنا ، متُّ وماتت روحي ولم ينفعني أحد ، لا أحد ممَّن يدّعون محبَّتي حاول انتزاعي من الموت . .

وأنت تغرق ، ستطيل النظر وستمحلق في كلِّ شيءٍ من حولك لعلك تجد عود أو قشَّة صغيرة لتتعلق بها وتعلق آمالك باحثاً عن الحياة ؛ شعوري الآن تماماً كما شعور المحتضر حين يطلب دقائق ليصلِّي لخالقه ، دقائق فقط ليكسب السعادة لآخرته لكن للأسف فقد فات الأوان . .

في كلا الحالتين الأشياء الصغيرة فقط هي التي تنجينا ، الدقائق التي نستهين بها في حياتنا هي أسمى أماني غيرنا . .

يا الهي ما أصغر الدنيا ، قلتُ ثم تذكرت والدي ووالدتي تابعتُ . . إلهي أنت تعلم حال أهلي كيف سيعيشون حين يعلموا أنني رحلتُ عنهم ؛ دعوتك سابقاً يا إلهي ألا تضرَّهم ، أرجوك لا تفجعهم بوفاتي ؛ ليس لهم سواك ومن بعدك أنا

## أرجوك أنقذني كي أعود إليهم

صمدْتُ وقوَّيتُ نفسي من أجلهم ، رفعت ابنتي لتتنفس

كانت تستنشق بصعوبة ؛ قالت لي كلاماً يكبرها عمراً : ماما لا أريد أن أتعبك معي فقط ارفعيني لألتقط أنفاسي كلَّ قليل . .

استدرْتُ للخلف فوجدتُ سترةَ نجاةٍ ، قرَّبتها منِّي فوجدتُ داخلها طفلاً ميتاً لم يطاوعني فؤادي لأسلبها منه المكان حولي مليءٌ بالجثث والأموات أشعر وكأنني في مقبرةٍ مفتوحةٍ ؛ أنهك التعب جسدي كثيراً تحمّلت عذاباً أقسى من الموت ؛ تابعتُ السباحة كي أصل إلى تلك السفن لكنَّ الموج كان يرتطم في وجهي ، أتقدَّم متراً فيرجعني مترين إلى الوراء ؛

أخيراً جاءت طائرة لوَّحَتْ لها شام بيدها ضاحكةً ، انتعش قلبي بالأمل مرةً أخرى لكن كما اعتدنا حتى الأمل هرول بعيداً عنَّا مرةً أخرى

مثلها كمثل السفن من قبلها اكتفت بتصويرنا فقط ؛ بعدما بقينا حوالي النصف ساعة ننتظر مساعدة الطائرة عدنا ليأسنا ، قرَّرْتُ أن أعود لأحاول الوصول إلى السفن لكنَّني حين التفتُّ وجدتهم بعيدين عنِّي كثيراً سحبني الموج إلى الوراء وأنا أنظر إلى الطائرة ؛ الآن ماذا عساي أفعل !

الآن وحيدةٌ أنا في ظلامٍ دامسٍ ؛ خوفٌ . . بردٌ . . ظلمةٌ . . لا شيء يدفعني للحياة ، الطائرة اختفت ؛

السفن لم يعد بوسعي رؤيتهم ؛ انهك جسدي تماماً هذه المرة رفعْتُ رأسي إلى السماء ،

تنهَّدْتُ ( ليتك تعلمين بحالي يا أمي ؛ الآن أنا في أشدِّ الحاجة لدعائك )

ثم قلت لشام سنموت حقاً هذه المرة ؛ صرختُ بأعلى صوتٍ يمكنني إصداره وأنا على يقينٍ بأنَّ ربِّي يسمعني

؛ يااا أرحم الراحمين يااارب أنا أتوسل إليك

في هكذا لحظة لا أريد الحياة ؛ الموت الآن تماماً كما النجاة كلاهما راحةٌ في هذه الحالة ؛

عُدْتُ للصراخ " ربِّي إنك قادرٌ على إنقاذي وأنا كلِّي إيمانٌ بقدرتك تقول للشيء "كنْ فيكون ، باستطاعتك

أن ترسل لي حوتاً أو بشراً لينقذنا أو أمتني فلم أعد أستطيع العيش أنقذني يا الله أو خذني إليك "

نطقْتُ الشهادة مرةً أخرى وابنتي صابرةٌ على كلِّ شيءٍ ، كانت تهمس في أذني المرة تلو الأخرى كي أرفعها

تلتقط نفساً وتقبِّلني ؛ عاودت السباحة ثلاث ساعاتٍ أخرى وبعدها شعرت أنَّ سترة النجاة التي أرتديها

أُخْليت من الهواء ؛ كانت أملي الأخير ؛ قبَّلت شام وبكيْتُ ، ثم قلْتُ لها حسناً سنموت ؛ عجبي أنها كانت

تطيعني في كلِّ مرَّةٍ ؛ وفعلاً بدأت ترتخي أفلتت أصابعها عنِّي ؛ شعرُها بدأ يعوم تحت الماء ، ابيضَّ وجهها ؛

شعرت أنها ماتت لم أستطع تركها رغم قلَّة حيلتي لا أعلم من أين استمديْتُ القوة سحبتها من شعرها إلى

الأعلى ، وضعْتُ أصبعي في حلقها سألتها ألا زلت على قيد الحياة ؟ تقيأت على وجهي

ثم قالت أمي أنتِ حبيبتي وعمري إن كنتِ تحبيني حقاً فلا تسمحي للموت بأن يأخذني منكِ أرجوكِ أبقيني في الأعلى لا تدعيني أموت أنقذيني وباتت تقبّلني تحت الماء وأنا أغرق خشيت أن أعيش أنا وتموت هي ،

تذكرت أنه من الممكن أن أنفخ سترتي ؛ نزلت تحت الماء أبحث عن الأنبوب كي أنفخه . . . . ونفخته فعلاً

أصبحت شام تقول لي تستطيعين إنقاذي أعلم إنك تحبيني لن تدعيني أموت صحيح ! أجبتها . . . نعم ،

باتت تصرخ بأعلى صوتها يارب يارب كما علمتها لها وهي تضحك

امتلأ قلبي قوةً من إصرارها على العيش ؛ انتشلتُ الأمل من العجز الذي يحيط بي وعاودت المحاولة ؛

وضعتني في تحدٍ بين الموت وبين حبِّها حتما سترجح الكفّة لها . . سأعيش لأجلها نعم ؛ لأجلها فقط

استدرت إلى الوراء فرأيت ضوءاً قادماً نحونا ، قلتُ لها أتوا لإنقاذنا

صدقتُ معها هذه المرة فلم يخذلونا ؛ أدلوا إلي بحبلٍ ربطته على يديّ كي يخرجوني حينها فقدت وعيي وارتخى الحبل نزل اثنان وهم يخرجونني طُرقتُ بالسفينة صحوت فلم أرَ ابنتي بجانبي فقد غاب وعيي مجدداً من فرط تعبي ؛ ابنتي قالت لي بأنهم أعطوها عصا كي تمسكها وأخرجوها ؛ لم أصحُ إلا بعد ساعاتٍ وأنا في البارجة ؛ رأيت زوج أختي سألته عن شام و زوجي أجابني شام ما زالت حيّةً وزوجك فليصبّرِك الله على فراقه ثم قال : ( بس ماسة ماتت ) ابنته

ثم غفوْتُ مجدداً ؛ حين صحوْتُ وأنا أتقيء رأيتُ أختي وشام بجانبي نظرتُ إلى شام وجهها مزرق حاولت

الحركة كي ألمسها لم أستطع سوى تحريك كتفي لمستها فشعرتُ بأنفاسها بكيتُ كثيراً ، حينها حمدتُ الله وأضلعي ترتجف برداً ؛ ناديتُ أختي قلت لها " وين زوجي ؛ أجابتني بدي ماسة الله يوفقكن جيبولي ياها "

ضممتها وبكينا سوياً قالت لي " شام ابنتي ، الآن لم يعد لدي أطفال شام هي ابنتي الآن . . "

بعد قليلٍ احضروا لي شايً ساخناً وأنا لا أستطيع سوى تحريك طرفي الأيسر قلتُ لهم أشعر بالبرد

فجاؤوا بأغطيةٍ واهتمُّوا بنا أنا وشام وعاودنا النوم

استيقظتُ في اليوم التالي رأيت امرأةً كانت معنا سألتها أين أولادك كانوا جالسين بجانبي قالت " الأربعة لم أجدهم " بكت وعانقتها . .

إلى الآن لا أستطيع الحركة أبدلنا ملابسنا ونقلونا بسفنٍ صغيرةٍ وأنا على أملٍ بأن أجد زوجي في إحدى السفن الوضع مزري جداً هنا الجميع يتملَّكهم الحزن ؛ جميعنا هنا فاقدين أحباءنا شام تنتظر أباها منذ خمسة أيام ، تقول لي حتماً إنه سيصل ؛ حينما وصلتُ إلى إيطاليا أخذوني إلى المستشفى ، بقيتُ هناك يومين ، إلى الآن لا أفهم كيف بقيت على قيد الحياة ؛ كيف أخرجوني أنا وابنتي بعدما كنَّا أمواتاً حتماً ، كيف صبرتُ على ظلمة الليل وبرد البحر لا أدري ما حصل معي حقيقةً أم حلم ؛ أنا موقنةٌ الآن تماماً بأنَّ ربِّي يحبُّني

أنا أحبك أيضاً ربِّي

تعلَّمْتُ أشياءَ كثيرةً في رحلتي ؛ أولها أن لا أتبع تلك السُّبُل التي عبر بها الراحلون من قبلي ؛ ليس الجميع يتمنَّى

لي الخير ، بعد الآن سأرسم لحياتي طريقاً مختلفاً ؛ سأجعل حياتي حلماً لكلّ من يحيط بي ، هي لوحة بعيدة تماماً عن أقاويل الناس من حولي ، ستكون ملكاً لي سأهبها فقط لأفكاري ومعتقداتي التي تجعلني سعيدة . . وأنتم أيضاً ؛ جميعكم اقضوا حياتكم وامرحوا بالطريقة التي تعجبكم عيشوا حياتكم كما أنتم تريدون ليس كما يريدها مجتمعكم أن تكون

. . . . . . .

# سبقوهم إلى الجنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ( ١٧١) ﴾

***

في حمص . . . ومنطقة تلبيسة بالتحديد عائلاتٌ كثيرةٌ تجرّعت من كأس القسوة الممزوجة بالظلم الذي أجبرها الواقع على ارتشافه . .

كما وصلني من إحدى قريبات العائلة . .

في وطني لكلّ شخصٍ نصيبٌ من الألم ، الأسى أصبح عنواناً لنا فالعذاب هنا لن ينسى ولن يرحم أحداً ؛ صوت القصف يخترق أذنك مباشرةً ليدخل ويستقرّ في جوف رأسك صراخُ الأطفال مع صوت القذائف التي تتساقط من حولك ولا أحدٌ يعلم في أيّ لحظةٍ ستدخل تلك الشظية المشؤومة التي ستهلك الجميع

..

بريقُ الأمل كان يشعُّ من أعين الأطفال فغداً سيتحقق حلمهم بعودتهم إلى مدرستهم التي فارقوها رغماً عنهم تمتزج مشاعرهم ما بين الخوف والفرح ؛ رغم مداهمة الموت لهم كانوا يريدون فقط الحصول على حاجياتهم المدرسية ؛ غير مبالين بما يحصل في الخارج ؛ هم فضَّلوا علمهم عن حياتهم . .

جلسوا منتظرين لحين توقف الضوضاء كي يخرجوا مع أبيهم ليكتمل حلمهم . .

ساعة ساعتان ؛ لم يعد بوسعهم الانتظار أكثر ؛ اكتملت الثلاث ساعات وأوشك الظلام أن يحلّ عليهم ، والدهم أمسى يؤجلهم لحين انتهاء القصف لكنّهم بدأوا بالبكاء ، لم يحبَّ والدهم دموعهم يوماً فقرَّر أن يذهب ليجلب لهم أدواتهم لكن بمفرده خوفاً من أن يحصل لهم أيُّ مكروه

نظر إليهم نظرةً مختلفةً في ذلك اليوم ثم خرج الأب من منزله داعياً الله أن يحمي بيته وأهله ، كان مسروراً جداً

بالأشياء التي ابتاعها ،

وفي طريقه للعودة اشتدَّت وتيرةُ القصف ؛ سيارة الهلال الأحمر تدوي وتنطلق مسرعةً ؛ أشار لها بيده كي يذهبَ معهم ويساعد من تأذَّى من منطقته

ويا للفاجعة التي حلَّت به ، هرعت سيارة الإسعاف لمكان بيته ؛ توقفت عند منزله تماماً لكنه لم يرَ بيته كما عهده ظنَّ أنه مخطئٌ حينما رأى الرماد يغطي كلَّ شيءٍ

بات يبحث عن وجوهٍ كان يعرفها تحت الأنقاض ؛ بعد معاناة أربع ساعاتٍ استطاع المنقذون العثور على زوجته وأطفاله الخمسة ، سلبهم الموت منه قبل أن يعطيهم سعادتهم التي طلبوها منه ، خرج يصرخ ينادي أطفاله " لك لييش رحتو بدوني ! قومو جبتلكن أغراض المدرسة اللي وصيتوني عليها يلا مشان الله قوموا ؛ ليش تركتوني لحالي هون ؟ ! كنت مفكر انو انا اللي مارح ارجع بس رجعت انا وكلكن رحتو مع بعض . . ربي انا مؤمن بقضائك وقدرك بس ليش هيك عملت فيني عصافيري الخمسة وأمّن تركوني لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم "

..

أقسمت لي قريبته أنه أصبح مجنوناً ؛

عندما عثروا على عائلته كانت الأم ترضع صغيرها مات وما زال في كنفها ؛ ابنتهم الكبرى تمسك القرآن ؛

ما بين ساعةٍ وأخرى ذهبوا جميعهم لم يتركوا فوضويتهم في المنزل ؛ مواضع جلوسهم تدمَّرت أيضاً ؛ لم يبقَ لهم أيُّ أثرٍ حيٍّ ليتذكرهم به ؛ رغم كلِّ ذلك بقوا أحياءَ في مخيلته

ذهبوا جميعهم وبقي هو من يصارع الوحدة بمفرده

إلى أولئك الهمجيين الذين يتابعون هدم ما بقي من نثرات القوة

لَم تركتم الوحشية تطغى عليكم ؟

سأحترم وحشيتكم عذِّبوا و دمِّروا واقتلوا كيفما تشاؤون ، لكن نفِّذوا ذلك على العائلة بأكملها ؛ لا تتركوا خلفكم طفلاً يتوعد بالثأر لأخوته وأبيه حتى لو كان سيسرق حجراً من بيته الذي دمَّرتموه ليقذفه على رأس أحدٍ من جنودكم

بل اتركوا أخوين يمسك كلٌّ منهما بيد الآخر ليصطحبه إلى بيت الله ؛ ومن ثم يخرجان ليعلمه على المقاومة

لا تتركوا أمًّا تبكي على أطلال أحبابها ، تُجبر على العمل بعدما كانت أميرة مملكتها

لا تتركوا أباً يعود لمنزله ليجد السكون يأكله بعدما كان صراخ أطفاله يؤنس عزلته ومن ثم يبكي على فقدانهم

. .

ما أصعب أن تشاهد دموع رجلٍ أنهكه الألم ، دموع الرجال مؤلمةٌ لا تهطل عبثاً ؛ حينما يعجز الرجل عن الصبر ، حين تتحداه الحياة يبكي

لطالما تحدتنا الحياة ، لطالما حلَّقت بنا إلى سماء الأمل وفجأةً من دون إنذارٍ حتى ؛ ألقت بنا إلى أسفل القاع ، أن تكون كلَّ شيءٍ وتملك من كلِّ شيءٍ ومن ثم ترى نفسك بلا أيِّ شيءٍ ؛ كهذا الألم . . . تحدِّي الحياة أن تضعك في منتصف كلِّ شيءٍ ، كشخصٍ عالقٍ على قمَّة جبلٍ لا يستطيع النزول خوفاً من الانحدار ولا يستطيع البقاء لقلة الأوكسجين أن تكون بين الموت والحياة أن تعيش بين الشؤم والأمل ؛ نحن شعبٌ إذا سُلب منَّا الأمل

نَمُتْ بقهرٍ أكثر من إذا سُلبت منَّا الروح

لذلك ربي أرجوك أزل الغمامة عن أهل بلادي

احمهم ربي وفرِّج كربهم برحمتك يا أرحم الراحمين

. .

أمٌّ عظيمةٌ زفَّت عريسها لجنان الخلد ؛ تروي لي قصتها . .

حين استُشهد فلذة كبدي تمَنَّيْتُ لو أنَّ الموت سلبني لي ، ليتني مُت أنا لينعم بالحياة هو ؛ أصبحت لا أغفو إلا أمام صورته حين أنام أحلم به كان الواقع بأكمله يحاصرني بذكراه

..

أضنيت ولداً كالبدر في ليلةٍ كان فيها القمر يشعُّ نوراً في أرجاء السماء

ربيته على المحبة ؛ علمته الدفاع عن أرضه ، سمَّيته " مجد "كي يمجِّد التاريخ نضاله في سبيل إسلامه ووطنه ليكمل سلسلة البطولات التي قدَّمها أبوه الشهيد ، نشأ يتيماً أطاعني في كلِّ شيءٍ في صغره لكن عندما كبر أصبح سبباً لدموعي ؛ أنا علمته كيف يبكيني كنت أقويه على الجهاد وأشجعه على المحاربة نعم أنا علمته كيف يوجعني ؛ ذات يوم كنَّا في المنزل سمعنا أصواتاً مخيفةً ( رصاص ، شبان يصرخون بهتافات نصر ، أصوات تعلو أصواتهم يشتمونهم ويجبرونهم على الصمت ) في تلك اللحظة ولدي البار تناول وشاحاً وسكيناً وركض مسرعاً نحو الباب رجوته أن يبقى شعرت أنَّ القدر سيفجعني به إن خرج لم يسمع كلامي رفض المكوث ، صرخ قائلاً " أماه أنت من علمتني الشجاعة أنت من قويتي عزيمتي أترضين أن أبقى هنا وإخوتي يُقتلون ! الشهادة حُلمي ؛ رضا ربي ورضاك هو مطلبي ارضي علي وسامحيني إن أخطأت يوماً "

وانطلق . . حينها شعرت بالخذلان ابني الذي ربَّيته على طاعتي يعصيني لأنني أخاف عليه ؛ رفض رجائي

بمكوثه ؛ لاشك أنَّ ما فعله كان صحيحاً لكنني حينها لم أدرك ذلك ؛ كان كلُّ ما يهمُّني هو الاطمئنان عليه الأصوات في الخارج ما زالت مخيفة ؛ مضت ساعة . . ساعتان كأنهما سنوات ؛ فجأة دوى انفجارٌ عنيفٌ ؛ تلاه صمتٌ رهيبٌ انقبض قلبي تسارعت دقاته ؛ توقفت الضوضاء تماماً ، هدوءٌ مُقلقٌ ، بدأتُ بالتوتر لحظات لم أسمع إلا هتافات ، زغاريد ، كان الصوت يقترب منّي كثيراً ؛ فجأة طُرق بابي بوحشية ؛ فتحته بقلقٍ ، وإذ شبانٌ يحملونه على أكتافهم يضعونه قائلين لي " عظم الله أجرك خالة أم مجد تقبله الله واسكنه فسيح جناته " . .

تجَمَّدتُ لم أشعر بما يدور حولي ؛ زغردت كثيراً لم أعد أدري أأبكي أم أضحك استحوذ عليَّ الجنون فقد فقدت وحيدي صرخت بأعلى صوتي كاالذبون ؛ ولدي استيقظ ، أرجوك لا تفجعني بفراقك قم وغني لي كعادتك " يا ست الحبايب يامو " بني أنا علمتك النضال من حبي لك كي يرضى عنك خالقنا أنا من دفعتك للشهادة أستميحك عُذراً ؛ قم يا فلذة كبدي لأطعمك ما تريد لنمرح سوياً ما زلت طفلاً انهض يا حبيبي أتذكر حين قلت لي لن أتركك يا أمي ؟ ! لماذا تركتني الآن لماذا لم تنذرني بالرحيل عُدْ أرجوك . . . حسناً لا تريد النهوض ! إذا هب لي فتاتاً من فرحٍ لأشبع به جوع حزني على فراقك سأبقى أدعو لك " رباه ارحم أرواحاً نحبها تحت الثرى ؛ ربي أرسلهم إلى جنان الخلد . . بني سأسعد بلقائك حتى لو كان بموتي لأنني سألقى روح ولدي روح الشهيد الطاهرة

استلقيت والألم يغمرني قرَّرت أن أنسى ، تباً لي كيف سأنسى ولدي البار ؛ أحضرت مصحفي وسجادة الصلاة . . وحدهم كانوا ينسونني أحزاني . .

كنت أشعر بالاطمئنان فقط وأنا بين يدي خالقي فتحت قرآني فقرأت الآية التي أشعرتني بالطمأنينة على ولدي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

ابني حيٌّ في الجنان . . . لن أنساك من دعائي ستبقى دائماً في ذاكرتي سأرسل لك فاتحةً كلما تذكرتك ..

أماه أنت الآن تحت الثرى أرجوك ابعث لي حلماً بطيفك لعلّي أطفئ قليلاً من نار شوقي لك

أما بعد فإني أحببت القدر وازداد إيماني بخيره وشره فكلُّ ما يحصل هو خيرٌ لا يعلم حكمته إلا الله

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

ابني وأخي ووالدي وكلُّ طالبٍ للشهادة أنت عظيمٌ ؛ سواء كنت سورياً أو عراقياً فلسطينياً أو أذربيجانياً لا يعنيني عُرقك فما يهمني أنك آثرت الرحيل عن البقاء ابتعدت عن أغلى ما لديك لنصرة الإسلام تاركاً وراءك أجيالاً يقتدون بك ؛ يسعون إلى إخماد نار الظلم التي أوقدتها مخالب الظلام من قبلك

سلامٌ على روحك الطاهرة

***

في كتابي تكلمْتُ عن إخوتي عن وطني لكنني نسيت أن أتكلَّم عن نفسي . .

حين اضطربَتْ الأوضاع في وطني خرجْتُ لأحيا بعيدةً عنه ، التهمني التعب ؛ سئمتُ من الهرولة نحو الحياة ؛ بكيتُ كثيراً دعوتُ ربّي أن يرشدني وذهبتُ باحثةً نحو خيط النجاة وحين عثرتُ عليه تشبَّثتُ به بكلّ جوارحي ؛ تعبتُ من القذائف ، يئستُ من الدمار ، تعبتُ من مداهمة الموت لنا في كلّ وقتٍ ومكانٍ ، ذهبتُ ويا ليتني لم أذهب ، كنتُ أنانيةً جداً حين فكَّرْتُ براحتي بعيداً عن وطني ؛ بتُّ موقنةً الآن بأنَّ البُعد يكشف الحقيقة ، بأنه يتوجَّب على المربية أن تستمر في تربية أولادها حتى لو أصبحوا في الخمسين من عمرهم . . . .
وأمنا هي سوريا ، أبناؤكِ يا سوريا بعثرتهم الغربة ، كلٌّ منهم قد غرق في وحل أنانيته ، أرجوكِ عودي قويةً واجمعي شتاتهم مرةً أخرى

**

في غربتي تألمتُ كثيراً ؛ بكيتُ كثيراً حينما توفي والد صديقتي ولم أكن بقربها ، تمنيت لو أنني بجانبها كي أمسح تلك اللآلئ التي تذرف من عينيها الطاهرتين اشتهيت أن أعانقها . . . أن نبكي سوياً ، لم أستطع تركها تتألم بمفردها ؛ خانتني دموعي وذرفت الأخرى . . ليتك تعلمين يا صديقتي كم أكره دموعك ؛ كم أكره تبلُّل وجنتيك بالأسى ؛ لا يليق بكِ الحزن . .

***

تألمت كثيراً حينما قُتل أحد أبناء وطني أمام أعيني ، سمعتُ صرخته الأخيرة لكنني لم أستطع فعل شيء ؛ هو وأقرباؤه كانوا يمشون مقابل منزلي ؛ كعادتي كنت في الشرفة أكتب تارةً وأستمتع بمشاهدة الناس الذين يمشون تارةً أخرى ؛ دوت صرخةٌ موجعةٌ ؛ ثم رأيت شابين يركضان بفزعٍ صرخ أحدهم على الآخر متسائلاً

– وين فلان ؟

أجابه

– مسكوه

تابعا الركض ولم أعد أراهما تواريا عن الأنظار

كانت الساعة قرابة الحادية عشرة و نصف ، لم أفهم ما يجري ؛ لم يمضِ أكثر من خمس دقائق وابتدأت الأصوات تتعالى

– ياعالم قتلوه

– ياناس دبحوا السوري

– أشهد أن لا إله إلا الله ، تكبيير يا ناس لك قتلوه ياعالم

– جريمة يا ناس

الله أكبر الله أكبر

هرعت الناس إلى الشوارع ليروا ما حصل ؛ انهارت أعصابي ، صرت أصرخ وارتعش وأبكي بدون وعي . . . ابن بلدي قتل أمامي سمعتُ صرخته الأخيرة ، لم يحمِهِ أحد

عمَّت الفوضى المكان وابتدأ الناس بالتساؤل لماذا قُتل ومن قتله ؟

اتَّضحت الحقيقة بعد يومين . . . بينما هم في طريقهم وإذ بثلاثة أشخاصٍ ( أتراك سكارى ) يتعاركون ، حاولوا تجنبهم خشية الدخول في المشكلة هرولوا مسرعين ؛ فلحق بهم الشبان الأتراك والشرر يتطاير من أعينهم ؛

استطاع أبناء خاله الهرب أما هو لم يستطع الركض بسبب ضعف قلبه فتمكنوا منه وطعنوه بسكينٍ طعنتين في بطنه أودتا بحياته . .

أبكتني كثيراً قصَّته ، لمست قلبي وأشعرتني بأنه لا مفرَ من الموت

. . .

نجا من سوريا وقذائفها ، لم يمته مرضه الخطير ، كان قدره أن يموت ذبحاً . .

صدق الشاعر حين قال : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . .

تجري أقدارنا أحياناً بعكس رغباتنا فنظنُّ أنها شرٌّ لنا . . .

نسينا قوله تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

# الإرهاب ! !

الغربة و الحرب والفقد كانوا عوائق لمسيرنا كما اعتقدنا ؛ أعجبني ما كتبه أحدهم ذات مرةٍ

" أنَّ تفرقتنا وغربتنا في شتى أرجاء الأرض ليست إلا لنكون سفراء للإسلام "

المهاجرون من المؤكد أنهم لم يذهبوا عبثاً ؛ حربنا حتماً جُعل لها هدفٌ . .

من يدري لربما أولئك المهاجرون لأوروبا يكونون رُسلاً للدعوة الإسلامية

رسلاً لديننا العظيم ، دين السلام والأخوة والمحبة ، دين النقاء والطهر

الإسلام ليس إرهاباً كما يدَّعي أعداؤه ،

صدق نزار قباني في قصيدته حين قال :

متهمون نحن بالإرهاب

إذا رفضنا موتنا بجرافات إسرائيل

تنكش في ترابنا

تنكش في تاريخنا

تنكش في إنجيلنا

تنكش في قرآننا

تنكش في تراب أنبيائنا

إن كان هذا ذنبنا فما أجمل الإرهاب

****

متهمون نحن بالإرهاب إذا رفضنا محونا

على يد المغول واليهود والبرابرة

إذا رَمينا حجراً

على زجاج مجلس الأمن الذي استولى عليه القياصرة

***

متهمون نحن بالإرهاب

إذا رفضنا زمناً

صارت به أمريكا المغرورة الغنية القوية

مترجماً محلفاً للغة العبرية

***

متهمون نحن بالإرهاب

إذا رمينا وردةً للقدس للخليل أو لغزة والناصرة

إذا حملنا الخبز والماء إلى طروادة المحاصرة

***

متهمون نحن بالإرهاب إذا رفعنا صوتنا

ضد كلِّ الشعوبيين من قادتنا

وكلِّ من غيَّروا سروجهم

وانتقلوا من وحدويين إلى سماسرة

***

إذا اقترفنا مهنة الثقافة

إذا تمرَّدنا على أوامر الخليفة العظيم والخلافة

إذا قرأنا كتباً في الفقه والسياسة

إذا ذكرنا ربنا تعالى

إذا تلونا سورة الفتح وأصغينا إلى خطبة يوم الجمعة

فنحن ضالعون بالإرهاب

***

من يدافع عن أرضه وعرضه ، من يحمي أهله وبيته ، من يتبع تعاليم دينه ونبيه ليس إرهابياً

تعريف القانون الجنائي للإرهاب وتعريفات مشتركة ايضاً : " يشير الإرهاب إلى تلك الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواءٍ من الخوف ويكون موجَّهاً ضد اتباع دينية وأخرى سياسية معينة ، أو هدف إيديولوجي وفيه استهدافٌ متعمَّدٌ أو تجاهلُ سلامةِ غير المدنيين ، ويشمل أيضاً أعمال العنف غير المشروعة والحرب " . .

تعريفٌ آخر للإرهاب : " هو مجموعة أعمال العنف التي تقوم بها منظمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية أو خاصة " . .

نأتي إلى شروط الحرب في الإسلام : أخلاق ووصايا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الحروب :

ـ لا تقتلوا امرأةً ولا صبيًّا ولا مريضاً ولا راهباً منعزلاً

ـ لا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا تغدروا ، لا تمثلوا بالجثث ولا تسرفوا في القتل ، لا تقطعوا شجرة

ـ لا تهدموا معبداً ، لا تهدموا بناءً ولا تخربوا عامراً ، لا تذبحوا بعيراً ولا بقرةً إلا للأكل

– الإحسان إلى الأسير وإكرامه وإطعامه ، العفو والصفح للمستسلمين ، وأخيراً عدم إجبار أحد على الإسلام

. .

سأكتفي بهذا الحدّ ؛ أجيبوني الآن هل الإسلام إرهاباً !

أطرافٌ معينةٌ تكفَّلت بجعل الإسلام دين الإرهاب والعنف والقتل ، على عكس حقيقته

. .

ديننا دين المحبة دين السلام ، الأخوة والإخلاص ، الدليل سيرة حياته صلى الله عليه وسلم تعمق فيها واكتشف بنفسك ، أما الآخرون والذين يهدفون إلى تشويه الإسلام أولئك لا ينتمون لإسلامنا بصلةٍ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وقد تكفَّل الله تعالى بحفظه . .

. . . . .

ها قد جاءت النهاية ؛ رسالتي تلك نقشتها بآلامنا ، معاناتنا خطَّت حروفها بدموعنا ودمائنا

لمن سأوجّهِها الآن !

أأُلقي باللوم على العرب ، أم على الحكام !

أأُرسلها إلى من باعوا أرضهم ، أم إلى من باعوا أرواحاً لا ذنب لها في شيءٍ ؟ !

أرواح طالبت بحريتها فنالت نعشها . .

لا الجيش الوطني ولا الجيش الحرُّ ولا الذين أطلق عليهم " داعش " ضحُّوا من أجل الوطن ؛ جميعهم ضحُّوا بالأبرياء من أجل مصلحتهم ثورة أو مؤامرة حربٍ أو أزمةٍ كما تريدون تسميتها . . . ضحاياها كانوا الشرفاء فقط . .

عن البطولة أتحدث . . الشهداء الذين قاتلوا بأيديهم ، ابتعدوا عن المراءاة والتفتوا لنصرة الحقّ

هم قادة جبهاتٍ . . صحيح ، لكنهم لم يتواروا خلف لقب القادة . . . هرعوا مكبرين لردم الظلم بدلاً من التخفي وإعطاء الأوامر للمجاهدين

أولئك هم الشرفاء حقاً أولئك كانوا ضحايا حربكم القذرة

. .

في الطرف الآخر

الأطفال ، الأبرياء ونحن ؛ نحن كنّا ضحايا الحرية التي لم نحصل على شيءٍ منها . .

حصلنا بدلاً منها على الذلّ و التشرد و الغربة

لذا لن أوجه رسالتي لأحدٍ

لا أحد سيشعر بما نمرُّ به

سأوجهها لنفسي ، لنا كسوريين فقط . . . بعد ليل الظلم سيشرق فجر الحرية يوماً

صبراً إنَّ مع العسر يسراً

. . ***

الأمل وما أجمله

يسكن الأمل بوجداني رغم كمّ المتاعب في جوفي

أنا على إيمانٍ تامٍّ بأنَّ بعد الليل فجراً يرتسم

لا داعي لأن نهب أرواحنا للضعف ، للاستسلام ، و للخيبة مهما حصل

أنا على يقينٍ دائمٍ بأننا حين نتعثر ننهض أقوى لا تنتظر انبساط الأيادي لمساعدتك قليلون جداً من يفعلون خيراً

الآن . .

نحن في هذه الدنيا عابرون ، سنون قليلة سنحياها حتماً ستختلط ما بين السعادة والحزن زيارتنا قصيرة لهذه الدنيا التي من المؤكد أنها ستفاجئنا كثيراً بهدايا القدر المفرحة والموجعة أيضاً لكلٍّ منَّا نصيبٌ سيناله مهما فعل ، لذا عليك أن تتهيأ دائماً وتستقبل نصيبك برضًى وتُحسن الظنَّ بخالقك

***

أنتم وأنا في قمة الحظِّ طالما أننا نبصر ، نكتب نقرأ ، نقطن في بيتٍ يأوينا ، نفعل ما يحلو لنا من دون أن يحاسبنا أحدٌ . . . . . هذه الأشياء هي حلمٌ عند غيرنا ثمة أشياء نملكها لكننا لا نوفها حقَّها

***

والآن أنت . . . أنجز ، اصنع نجاحك بيديك لا تنتظر ثناءً على ما تفعله ، اعملْ . . كافحْ . . وثقْ دائماً بقدراتك . . .

***

سأخبركم شيئاً . . . ذات مرةٍ سئمْتُ من المشي على أرض الواقع ؛ فردت جناحي وطرت بهما للعلا ؛ تراءى أمامي كلُّ مظلومٍ عجز عن الصراخ ، كلُّ ضعيفٍ لم يستطع فكَّ قيود الإرادة والتحليق بجناحيه . . تراءى أمامي الكثير والكثير

وحين اقتربتُ بأحلامي إلى سماء سعادة الإنجاز صعقتني غيمةُ الفشل ؛ انتفضت أوتاري وتلاشت أحلامي

ظننتني سأموت لكن ولحسن حظِّي أسعفني خيط الأمل المتدلي من قلبي تشبثت به بهدوءٍ وحططت على أرضي . .

مازال لجناحي قدرةٌ على التحليق ؛ ما زال بقلبي خيوطٌ للأمل وما زال لحلمي بقية . .

وأنتم أيضاً لا تقطعوا خيوطاً في قلوبكم وُجِدت من أجل إسعادكم من أجل عيشكم

لا شيء أجمل من الأمل يرتقي بنا إلى أسمى مراتب الصفاء والفرح يهب لنا كلَّ سعادةٍ . . . . اشعروا به دائماً ولا تفسدوا قلوبكم الطيبة . .

سأترككم برفقة الأمل فهو صلب سعادتي ورضاي ، اجعلوا مسكنه قلوبكم فآمالكم بإذن الله لن تخيب

قال سبحانه في الحديث القدسي : ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ))

. .

النهاية

تمت ٢٥ – ٩ – ٢٠١٥

58 : 12 صباحاً

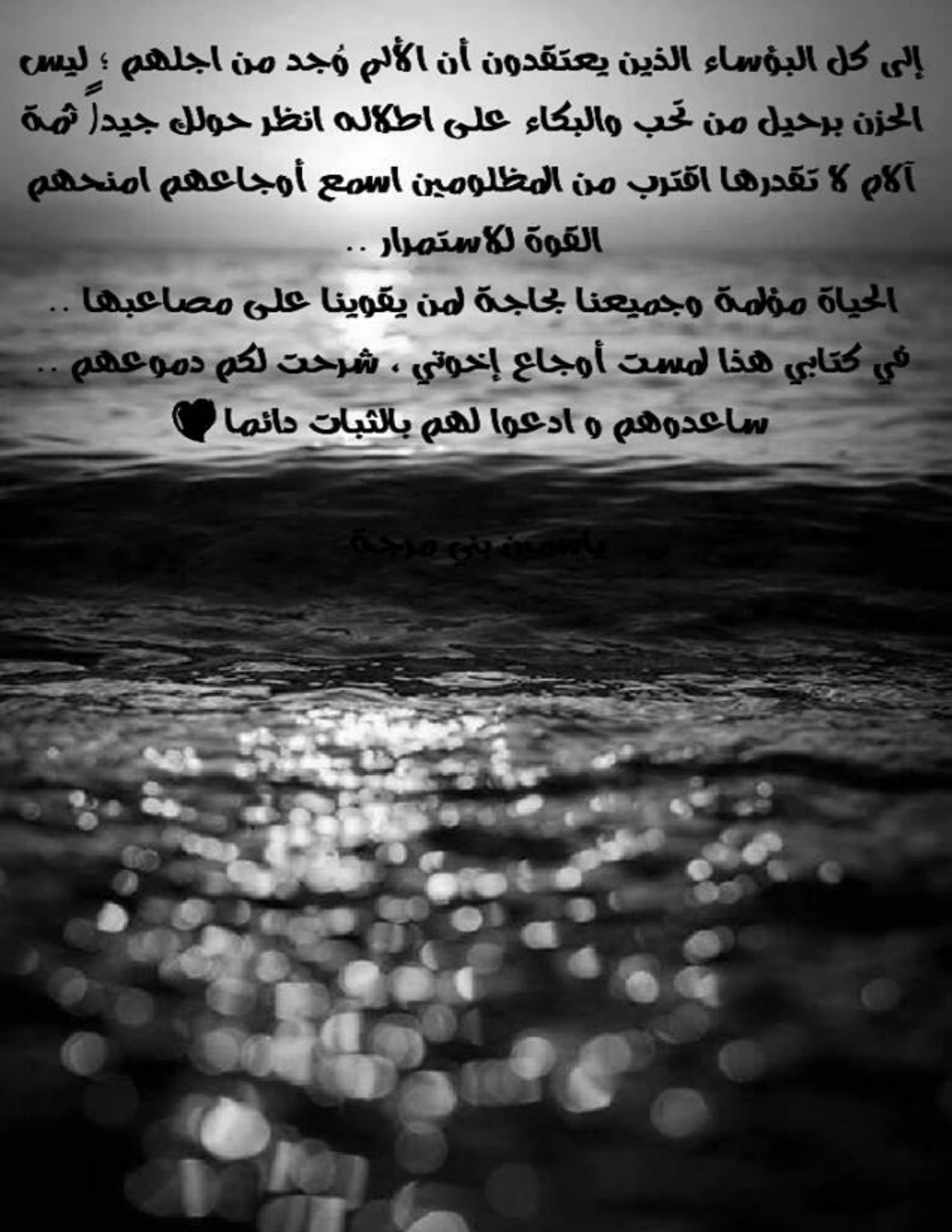
إلى كل البؤساء الذين يعتقدون أن الألم وُجد من اجلهم ؛ ليس
الحزن برحيل من تحب والبكاء على اطلاله انظر حولك جيداً ثمة
آلام لا تقدرها اقترب من المظلومين اسمع أوجاعهم امنحهم
القوة للاستمرار ..
الحياة مؤلمة وجميعنا بحاجة لمن يقوينا على مصاعبها ..
في كتابي هذا لمست أوجاع إخوتي ، شرحت لكم دموعهم ..
ساعدوهم و ادعوا لهم بالثبات دائما
ياسمين بني مرجة